الفصل 9

الحركات الريفية والسياسة الاقتصادية

كيرت شوك (Kurt Schock)

استخدمت الجماعات الساعية للحصول على العدالة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، المقاومة المدنية خلال مراحل التاريخ كافة، وفي العقود الأخيرة أسهمت موجة من الحركات المؤيدة للديموقراطية في التحولات الديموقراطية في العالم كله، بما في ذلك حركات في الفلبين في العام 1986، والتشيلي في العام 1988، وبولندا في العام 1989، وألمانيا الشرقية في العام 1989، وجنوب أفريقيا في العام 1994، وصربيا في العام العام 2000، وتونس ومصر في العام 2011، وقدأسرت مظاهر قوة الشعب تلك المخيلة الشعبية إضافة إلى انتباه الباحثين في مجال المقاومة الشعبية، الذين ركزوا بالكامل على الحركات المطالبة بالديموقراطية في المدن (أمثال شينوويث وستيفان 2011؛ نبستاد 2011أ؛ شوك 2005) (e.g., Chenoweth & Stephan 2011; Nepstad 2011a; Schock 2005)، إلا أن هناك تقليدًا طويلًا من حركات المقاومة غير العنيفة مركزها الريف قامت ضد الاستغلال الاقتصادي وعدم المساواة. ورغم أن النتائج لم تكن في مستوى درامية إسقاط ديكتاتور، فقد أسهمت تلك الحركات بنجاح في حصول عمال الريف على حقوقهم، وإعادة توزيع الأراضي، وتبني سياسات التنمية المستدامة.

ليس لحملات المقاومة المدنية في الريف هذا الأوج الدراماتيكي إذا قارنَّاها بالكفاح المُؤيِّد للديموقراطية في المدن والهادف إلى تغيير النظام، حيث يحتل مئات الألوف من الناس الساحات العامة في المدن الكبرى، وقد يحدث بالطبع احتجاجات، ومظاهرات، ومسيرات، واحتلال أماكن عامة في المدن الرئيسة؛ بهدف زيادة وعي الجمهور بقضايا الريف وتوليد ضغط على الحكومة، لكنَّ هذه الأمور تحدث عادة ضمن مدة أطول من

الكفاح أكثر مما هي النهاية المذهلة للعبة النضال، وفي حين تتحدى الحملات المؤيدة للديموقراطية القمع السياسي للنظام المستبد، فإن الحركات الاجتماعية الريفية غالبًا ما تعترض على العنف الهيكلي – أي الظلم المنتشر أو المنهجي– الذي يمنع الناس من تلبية متطلباتهم الإنسانية الأساسية. (جالتونج 1969، 1996) (Galtung 1969, 1996).

تركيز أدبيات المقاومة المدنية على الحركات المؤيدة للديموقراطية أمر يمكن فهمه، فقد حدثت عمليات كثيرة من عمليات التحول إلى الديموقراطية منذ بداية عقد السبعينيات، وكانت المقاومة المدنية – على الدوام– أحد مكونات التحول إلى الديموقراطية. لكن الأمر الذي رافق التوجه نحو إقامة كيانات أكثر ديموقراطية كان تنامي عدم المساواة الاقتصادية، سواء داخل الدولة الواحدة أو بين الدول، في عصر عولمة الليبرالية الجديدة التي بدأت في عقد الثمانينيات وما بعده (ويد 2004) (Wade 2004)، ليتزايد ترحيل الريفيين بسبب نظام الغذاء العالمي (حسب ما تمت مناقشته في الفصل العاشر)، والاستيلاء على الأراضي عالميًّا (بوراس وفرانكو 2012؛ ماك مايكل 2007) (Borras & Franco 2012; McMichael 2007).

تركيز الباحثين الكبير على النضال المُؤيِّد للديموقراطية فيه مفارقة إلى حدٍّ ما، نظرًا لتأكيد العدالة الاجتماعية والاقتصادية من قبل غاندي، إضافة إلى التمييز القانوني، والديموقراطية، والتحرر الوطني، وتشكل الحملات التي شنَّها غاندي لإنهاء الحكم البريطاني جزءًا من كفاح أوسع، وقد أكد غاندي أنه يتعيَّن على الهند بعد الاستقلال أن تتجنب استبدال حكم النخبة البريطانية بنخبة هندية، والقسط الأعظم من عمل غاندي كان السعي إلى تجديد اقتصاد الهند، وتصور أن تقوم الحكومة المركزية بإسناد الكثير من سلطاتها وآلية صنع القرار لديها إلى القرى المحلية، وبكلمة أخرى، كان الكفاح الأكبر لغاندي ضد العنف الهيكلي.

يقول بعض النقاد، إنه في حين قد تكون المقاومة المدنية قادرة على النجاح، حين يكون هناك تعارض واضح بين المُضطهِد والمُضطهَدين، ويكون النظام أو المحتل الأجنبي قد استبعد معظم شرائح المجتمع، كما هو الحال في الكثير من أعمال الكفاح من أجل

الديموقراطية أو التحرر الوطني، فإنها تكون أقلَّ فاعلية في تحدي الاستغلال وعدم المساواة الهيكلية حين يكون هناك الكثير من الروابط المعقدة التي تجمع الناس ضمن نظام من الأيديولوجيات الشرعية المسيطرة، وبعكس ذلك يؤكد بعض الباحثين في مجال المقاومة المدنية قدرة الكفاح غير العنيف على محاربة العنف الهيكلي والعلاقات الهيكلية، مثل النزعة العسكرية، والرأسمالية، والإمبريالية (بوروز 1996؛ دي لايت 1937؛ مارتن 2001) (Burrowes 1996; de Ligt 1937; Martin 2001)، لكن يبدو أننا بالكاد خدشنا السطح بهذا الصدد بالطبع، باستثناء الأدب النسائي الذي وضع الأساس لتحديات العلاقات الأبوية بين الجنسين (مثال ذلك، بينت 2006؛ كونل 1987) (e.g., Bennett 2006; Connell 1987).

رغم ذلك، نشبت تشكيلة من الصراعات عبر العالم في السنوات الأخيرة لمعارضة الاستعمار الجديد، والتكدُّس من خلال انتزاع الأراضي، ونمط التنمية المسيطر، فالحركات التي أعطت الأولوية للعدالة الاجتماعية والاقتصادية حشدت لمعارضة بناء السدود الضخمة، وتردِّي البيئة، وعدم المساواة في امتلاك الأراضي، والأعمال الزراعية العابرة للحدود، وخصخصة المرافق العامة، وبراءات اختراع للطبيعة ومعارف السكان الأصليين، وغير ذلك الكثير (شوك 2009) (Schock 2009)، لقد حركت تلك الصراعات رؤى الديموقراطية التشاركية، والتنمية المستدامة، ومزيد من العدالة في توزيع الموارد، وهي رؤى غاندية وفوضوية سواء أُعِدَّت كذلك أم لا، وبالتالي، وحين عدَّ بعض الناس المقاومة غير العنيفة طريقة (برجوازية) في الصراع، ولا تصلح إلا لنشر الديموقراطية الليبرالية وعلاقات (السوق الحر)، فإن الإستراتيجية هي على الأرجح أكثر راديكالية وثورية.

سأبحث في هذا الفصل في ثلاث منظمات لحركات اجتماعية ريفية؛ عمال المزارع المتحدين[1] في الولايات المتحدة، وحركة العمال الريفيين بلا أرض في البرازيل، وجمعية الفقراء في تايلاند. ورغم ترابط قضايا العمال، والأرض، والسياسة الاقتصادية، فسوف أركز هنا على كفاح عمال المزارع المتحدين من أجل حقوق العمل في الستينيات والسبعينيات،

وكفاح حركة العمال الريفيين البرازيلية من أجل الأرض منذ أواسط الثمانينيات، وكفاح جمعية الفقراء لتغيير السياسة الاقتصادية أواخر عقد التسعينيات.

تتضمن الصعوبات الرئيسة التي ينبغي على الحركات الاجتماعية الريفية أن تتجاوزها في حشد جمهور من الصعب تنظيمه، وتشكيل شبكات عمل عبر مناطق مشتتة جغرافيًّا، والسعي إلى الحصول على دعم الأنصار في المدن، أولًا : عملية تنظيم العمال الزراعيين الذين لا يملكون أرضًا، وصغار المزارعين مرهقة بالنظر لمعدلات الأمية العالية نسبيًّا وبسبب ثقل وطأة الثقافات التقليدية في الموالاة، والنظام الأبوي، والإذعان للسلطة، لقيود التنظيمية وضع تلك الفئة من العمال كأقليات، في بعض الحالات، كعمال تراحيل أو (عمال ضيوف)[2]. ثانيًا: يميل العمال الريفيون بلا أرض وصغار المزارعين إلى التشتُّت جغرافيًّا، لذلك فإن هياكل الحشد وتشكيل شبكات التنظيم التي تمتد إلى الأنصار المشتَّتين يجب استغلالها أو دمجها. ثالثًا: للحصول على نفوذ لدى الأنظمة السياسية التي تُحابي مُلاك الأراضي والشركات الكبرى، يتعيَّن على المناضلين الريفيين السعي إلى الحصول على دعم حلفاء نافذين من خارج المناطق الريفية.

الحالات الثلاث التي نناقشها في هذا الفصل حققت درجة من النجاح لأنها تجاوزت العقبات من خلال التكتيك، والتنظيم، والرؤية المبتكرة، وعمال المزارع المتحدين زادوا فاعليتهم من خلال مقاطعة المستهلك، وحوَّلوا النضال من أجل تحسين أجورهم وحقهم في تنظيم أنفسهم إلى مستويات أعلى من النضال الشامل المطالب بالعدالة الاجتماعية في الولايات المتحدة، أما العمال الريفيون بلا أرض فقد استخدموا احتلال الأرض بطريقة إستراتيجية منظمة، ومنضبطة، محولين الطريقة إلى سلاح قوي في الصراع من أجل إصلاح قانون الأراضي، إضافة إلى ذلك ما أن احتل هؤلاء العمال الأرض، حتى نظموا مجموعات تعاونية من المنتجين زادت من قوة التحدي لنموذج الصناعة الزراعية المسيطر في البرازيل، وفي تايلاند صاغت جمعية الفقراء شبكات عمل بين مختلف الجماعات

والمنظمات غير الحكومية، إضافة إلى أبناء المدن المُرحَّلين من الريف، ناقلين نضالهم إلى مقر السلطة في بانكوك، ومؤثرين في سياسات وأجندات التنمية الاقتصادية.

العمل: حركة عمال المزارع المتحدين

في ثلاثينيات القرن العشرين، نجحت الحركة العمالية الأمريكية – من خلال العمل الجماعي ووجود بيئة سياسية مواتية– في كسب الاعتراف باتحاد العمال، والحصول على أجور أعلى، وشروط عمل أفضل (زيجر وجال 2002) (Zeiger & Gall 2002)، وقد كان عمال المزارع مُستبعَدين من قوانين العمل الفدرالية التي تحمي عمال المصانع، وبسبب افتقارهم لهذا النوع من الحماية، فقد عانوا تدني الأجور، وشروط عمل وأوضاعًا معيشية سيئة، وانعدام الأمن الوظيفي، وإن بعض العمال الريفيين في كاليفورنيا كان يتم جلبهم من المكسيك على أنهم (عمال ضيوف) لا يملكون أي حقوق قانونية في المواطنة، وكان الكثيرون من هذه الفئة من العمال مهاجرين فقراء يواجهون العقبات في جميع مجالات حياتهم، والواقع أن عمال المزارع في كاليفورنيا كانوا عديمي الحيلة، مقارنة بقطاعات الأعمال الزراعية القوية ووكلاء العقارات الذين كانوا يقمعون بشكل منتظم وبالعنف – في معظم الأحوال– أي محاولة جماعية لمعارضة الوضع القائم (جانز 2009) (Ganz 2009).

لم تنجح المحاولات المتكررة للمنظمات العمالية ذات الموارد الأكبر، مثل (الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية)، و(الأخوة الدولية لسائقي الشاحنات)، في تنظيم عمال مزارع كاليفورنيا، وبالتالي، فحين قام سيزر شافيز بتأسيس جمعية عمال المزارع في العام 1962، كانت الصعوبات كثيرة، وبدا أنها مجرد حلقة أخرى في سلسلة من المحاولات الفاشلة لتنظيم عمال المزارع للحصول على أجر وشروط عمل أفضل (جانز 2009) (Ganz 2009).

لم تردع المحاولات الفاشلة شافيز عن محاولة تنظيم العمال الزراعيين، مستفيدًا من خبرة استقاها من العمل مع فريد روس، وهو منظم مجتمع ماهر وصاحب نفوذ، وقد أصبح

شافيز أحد تلاميذ روس وأحد المنظمين في (منظمة الخدمات الاجتماعية)، واكتسب خبرة واسعة في تنظيم الأمريكيين من أصول مكسيكية القاطنين في الأحياء الخاصة بهم في كاليفورنيا في الخمسينيات، طبَّق بعدها مبادئ تنظيم القواعد الشعبية على عمال المزارع، وفي ما كان يُشار إليه على أنه «حملة التنظيم الأصعب التي تستهدف العمال المكسيكيين المهاجرين، في بحثها عن مؤيدين بالانتقال من شخص إلى آخر ومن منزل إلى منزل»(شو 2008، ص3) (Shaw 2008, p. 3)، شارك شافيز وأعضاء فريقه في عملية تنظيم شعبية مُجِدَّة ومُثابِرَة.

كان حشد القواعد الشعبية من المزارعين عملًا مهمًّا، إلا أنه ليس كافيًا لتطوير حركة عمال مزارع ناجحة، وللتغلب على الصناعة الزراعية في كاليفورنيا، وسَّع شافيز حملته من حقول كاليفورنيا لتشمل البلاد كلها، وحوَّلها من صراع لحقوق العمال إلى صراع من أجل العدالة الاجتماعية، فشكَّل تحالفات من الأمريكيين المكسيكيين، ومن الجمعيات الدينية، وجماعات الحقوق المدنية، والديموقراطيين الليبراليين، والحركات العمالية، وطلاب الجامعات (جانز 2009، ص159) (Ganz 2009, p. 159)، وشارك المؤيدون المدنيون في أعمال ثانوية، مثل المقاطعة، ورفض التحميل، والنقل، أو بيع المنتجات المقاطعة.

كان شافيز ملتزمًا بعمق في العمل من أجل العدالة الاجتماعية باتباع اللاعنف المبدئي مستلهمًا التقاليد الكاثوليكية الأمريكية- المكسيكية، ومن حياة موهنداس غاندي (أوروسكو 2008) (Orosco 2008)، وكان ذلك واضحًا في أول صراع رئيس تخوضه الجمعية الوطنية لعمال المزارع، الذي بدأ في أيلول/ سبتمبر من العام 1965، حين دعم شافيز عمال المزارع في ديلانو- كاليفورنيا، الذين أضربوا للمطالبة بالحصول على أجر أكبر، وللحصول على دعم ذي قاعدة عريضة للعمال المضربين، سار شافيز مع عمال مضربين ومؤيدين مسافة تقرب من (300) ميل من ديلانو إلى ساكرامنتو عاصمة الولاية، قطعها في 28 يومًا، وبلغت المسيرة ذروتها خلال عطلة عيد الفصح عام 1966، عندما رحب (10,000) مؤيد بالمسيرة في ساكرامنتو (جانز 2009، الصفحات من 146–161) (Ganz 2009, pp. 146–61).

اتَّبعت المسيرة تقاليد الحج المُتجذِّرة في الثقافة المكسيكية، التي تشتمل على ممارسة التوسُّل، والتكفير عن الذنوب، والالتزام، وقد نجحت في استقطاب تغطية إعلامية على مستوى البلاد كلها، إضافة إلى إظهار تكريس الناشطين لأنفسهم من أجل القضية، من خلال استخدام الرموز الدينية بشكل ملائم، مثل رفع صور سيدة غوادالوبي، وتأطير الإضراب والمسيرة على أنهما جزء من الكفاح غير العنيف الذي اتَّبعه غاندي، فتمكَّن شافيز من الحصول على دعم من جماعات كنسية (جانز 2009، الصفحات من 146–161؛ أوروسكو 2008) (Ganz 2009, pp. 146–61; Orosco 2008).

الشيء المهم في توسيع نضال عمال المزارع كان مقاطعة المستهلك التي طُبِّقت دعمًا لإضراب العنب في مدينة ديلانو؛ إذ سافر الناشطون من منطقة خليج سان فرانسيسكو وأقنعوا نقاباتَيْ عمال التحميل والتخزين في الميناء – اللتين يتولى أعضاؤهما تحميل شحنات العنب– بالتعاون مع المحتجين ورفض تحميل أي عنب غير عنب الاتحاد، فتبع ذلك إعلان عمال المزارع المتحدين من صناعات شينلي وشركة دي جورجو – وهما أكبر شركتين زراعيتين في مجال صناعة العنب في ديلانو– عن مقاطعة شملت البلاد كلها، وقد تمخَّضت المقاطعة عن أول عقد نقابي ملموس في تاريخ عمال مزارع كاليفورنيا، مع زيادة في الأجور، واعتراف رسمي بالجمعية الوطنية لعمال المزارع (جانز 2009) (Ganz 2009).

تبع تلك النجاحات مقاطعة أطلقت في العام 1968 شملت جميع صناعات العنب، وربما كانت أنجح مقاطعة يقوم بها المستهلكون في تاريخ الولايات المتحدة، فقد حولت حركة عمال المزارع الحملة إلى حركة جماهيرية، حيث انضمَّ إليها الكثير من طلاب الجامعات المتطوعين، وحشدت القواعد الشعبية من أصحاب الضمير في المناطق المدنية، وكان عمال المزارع المتحدين مبدعين في استخدامهم مقاطعة المستهلك لكسب النزاع العمالي، وبتوسيع النزاع صار في وسع عمال المزارع أن يتَّحدوا بنجاح هيمنة قطاعات الأعمال الزراعية (جانز 2009) (Ganz 2009).

لقد سهَّلت عملية إعادة تأطير كفاح عمال المزارع وجعلها حركة جماهيرية للحقوق المدنية والعدالة الاجتماعية عملية توسيع قاعدة الحشد، وباستخدام الهوية الجمعية للأمريكيين من أصل مكسيكي، تمكَّن سكان المدن المؤيدون من تأدية دور واضح في دعم الحركة، وتصوير النضال على أنه قتال أقلية مُضطَّهدة تكافح من أجل حريتها كان له صداه في فهم الشعب لحركة الحقوق المدنية (جانز 2009) (Ganz 2009).

وبحلول العام 1972، كان عمال المزارع المتحدون قد وقَّعوا عقودًا مع (150) صاحب مزرعة، فزاد عدد أعضائها على (50,000) عامل، ولأول مرة في تاريخ العمالة الزراعية في كاليفورنيا، أصبح العمال يتقاضون أجورًا لائقة، ومزايا، وشروط عمل جيدة، وفي العام 1975 (أي بعد عشر سنوات من إضراب العنب في ديلانو) سنَّت ولاية كاليفورنيا قانون علاقات العمل الزراعي، الذي ضُمِّن الكثير من الحقوق والحماية للعمال، المماثلة للحقوق التي حصل عليها العمال الصناعيون في الثلاثينيات، مثل حق التنظيم والإضراب (جانز 2009) (Ganz 2009).

يفسر مارشال جانز (2009) Ganz (2009) نجاح عمال المزارع المتحدين في عَقْدي الستينيات والسبعينيات، إضافة إلى تراجع قدرتهم الإستراتيجية في عقد الثمانينيات [3] – حسب جانز– انبثقت القدرة الإستراتيجية من عمليات التجريب التفاعلية، والتعليم، والتكيف، وعند تطوير القدرة الإستراتيجية بقدرٍ كافٍ فإنها تمكن الحركة من الاستفادة من الفرص بتحويل الموارد التي تملكها إلى القوة التي تحتاجها لتحقيق أهدافها، وتتولد القدرة الإستراتيجية من خلال المهارة في جمع فريق القيادة وهيكلة التعامل بين الأعضاء، والقواعد الشعبية، والبيئة بعناية، فإذا كان لدى فريق القيادة دوافع عميقة، ولديه مدخل على معلومات مهمة، ومنفتح على التعلم، عندها تكون الإستراتيجية الفاعلة قابلة للتطور على المدى البعيد.

مقارنة بقيادة (الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية) وسائقي الشاحنات، فإن القيادة والناشطين المتطوعين من عمال المزارع المتحدين كانوا متحفزين

للغاية وملتزمين بالقضية، وقد غرسوا روابط بين جماعات عمال المزارع والمنظمات الدينية، حيث عززت مشاركة الجماعات الدينية، وناشطي حقوق الإنسان، وطلاب الجامعات، وسكان المدن في مناطق نضال عمال المزارع المتحدين، إمكانية الوصول إلى معلومات بارزة كانت غائبة عن عمليات التنظيم المعزولة لأكثر النقابات العمالية رسوخًا، ومقارنة بقيادة (الاتحاد الأمريكي للعمل ومؤتمر المنظمات الصناعية) و(سائقي الشاحنات)، كان فريق قيادة عمال المزارع المتحدين منفتحًا على المداولات الديموقراطية، ما عزَّز وضع إستراتيجيات مبتكرة تجاوزت الممارسات المعتادة لنقابات العمال التقليدية (جانز 2009) (Ganz 2009)، فقدرة عمال المزارع المتحدين الإستراتيجية مكَّنتهم من التغلب على تحديات كبيرة واجهت الحركات الاجتماعية الريفية، فقد حشدت قواعد شعبية من الصعب تنظيمها، وصاغت شبكات عمل في مناطق مُشتَّتة جغرافيًّا، وغرست بذور دعم القواعد الشعبية المدنية.

الأرض: حركة العمال الريفيين بلا أرض

تعود أصول عدم المساواة في امتلاك الأراضي إلى أيام الاستعمار البرتغالي، يوم كانت الأرض تُنتَزَعُ بالقوة من السكان الأصليين، بعد ذلك سيطر عدد قليل من العائلات بموافقة النظام الملكي البرتغالي على مساحات شاسعة من الأراضي في المنطقة المعروفة اليوم باسم البرازيل، ولم تزل طبقة صغيرة نسبيًّا من كبار ملاك الأراضي - حتى هذا اليوم- تمتلك الكثير من الأراضي الزراعية وتتمتع بنفوذ هائل على السياسة البرازيلية، وقد تزايد عدد العمال الزراعيين الذي لا يملكون أرضًا ابتداء من عقد السبعينيات، نتيجة بناء السدود الكهرومائية العملاقة، وطرد الناس من الأراضي لإفساح المجال أمام المزارع الصناعية الكبرى بوصفها جزءًا من الثورة الخضراء، وفي عقد التسعينيات تم تطبيق السياسات الليبرالية الجديدة التي أسهمت في مديونية صغار المزارعين، وبالتالي ازدادت أعداد من لا يملكون أرضًا بزيادة مستويات عدم المساواة في امتلاك الأراضي، وفشل الحكومة في معالجة القضية من خلال إصلاح الأراضي (برانفورد وروكا 2002؛ رايت وولفورد 2003) (Branford & Rocha 2002; Wright & Wolford 2003).

قام الفلاحون أواخر عقد السبعينيات بالاستيلاء على الأراضي المستخدمة بصورة غير منتجة، في محاولة للحصول على أراضٍ لهم لزراعتها من خلال الاحتلال غير المسلح، وكان الناشطون المحليون يخططون وينظمون عمليات الاحتلال تلك بشكل مستقل عن بعضهم وفي مناطق مختلفة من البلاد، فبدأ الأعضاء التقدُّميون في الكنيسة الكاثوليكية التابعون للجنة الرعوية للأرض، وناشطون قلقون من العنف بالريف ومن عدم المساواة لاحقًا، بتنسيق عمليات الاحتلال، وقد كانوا مُدرِكين حجم قوتهم من أجل إعادة توزيع الأراضي إذا تم تطبيق العمل بطريقة إستراتيجية منظمة ومنضبطة، كما كانوا مُدرِكين أن حركة وطنية اجتماعية سيكون موقفها أقوى في مقاومة القمع ومواجهة مالكي الأراضي والدولة، وقد قادتهم جهودهم إلى تأسيس (حركة العمال الريفيين بلا أرض) في العام 1984 (برانفورد وروكا 2002؛ هارنيكر 2003؛ رايت و ولفورد 2003) (Branford & Rocha 2002; Harnecker 2003; Wright & Wolford 2003).

عدَّت (حركة العمال الريفيين بلا أرض) أن نضالها صراع طبقي بين عمال زراعيين تعرضوا للاستغلال وجُرِّدوا من ممتلكاتهم، ورأسماليين من كبار ملاك الأراضي وقطاعات الأعمال الزراعية الدولية، وقد فسَّرت التحليلات المستقاة من الرأسمالية ولاهوت التحرير العلاقة ما بين الرأسمالية وعدم امتلاك الأراضي، وأشارت إلى ضرورة الكفاح السياسي لتحقيق تحوُّلات هيكلية، إضافة إلى ذلك تبنَّت حركة العمال الريفيين المذكورة لاهوت التحرير؛ للكفاح من أجل مَنْ لا يملكون أرضًا بتطوير ما يُدعى (مستيكا)؛ أَيْ عرض الكفاح بالكلمات، والفن، والرمزية، والموسيقى، لتعزيز الحشد، والتمكين، والتضامن (إيسا 2007) (Issa 2007).

استمدت حركة العمال الريفيين الإلهام من تشي جيفارا (الثوري الكوبي)، وحركة الساندينيين في نيكاراغوا، إلا أن حركة العمال الريفيين، ورغم اعترافها بكفاح الماركسيين الثوريين، رفضت الإستراتيجية الماركسية الداعية إلى الاستيلاء على السلطة من خلال العنف وأن تصبح حزبًا حاكمًا، مُدرِكة أنه قد يكون لمثل هذا النوع من المقاومة نتائج

عكسية على إصلاح ملكية الأراضي في البيئة الحالية، وكان مُهمًّا للحركة أن تدرك أنَّ ميزتها النسبية تكمن في المقاومة اللاعنيفة؛ نظرًا لأن احتكار العنف يقتصر على مالكي الأراضي والدولة، إضافة إلى ذلك أنها إذا استخدمت العنف فسوف تفقد دعم الجمهور والشريحة التقدُّمية من الكنيسة الكاثوليكية، التي تُعَدُّ مهمة لنجاحها، وقد عرفت الحركة أيضًا أنَّ أي تغيير مهم لن يحدث بالاعتماد على القنوات السياسية المؤسسية، وأنَّ طلبات إصلاح الملكيات الزراعية بالالتماسات، أو الضغط، أو التفاوض كانت غير مُجدِية، لذلك كان الحشد الجماهيري ضروريًّا للحصول على نفوذ سياسي (برانفورد وروكا 2002؛ ستيدل وفيرناندیز 1999؛ رايت و ولفورد 2003) (Branford & Rocha 2002; Stedile & Fernandes 1999; Wright & Wolford 2003).

ورغم تصنيفها على نطاق واسع بأنها حركة اجتماعية غير عنيفة، استخدمت (حركة الريفيين بلا أرض) تشكيلة مبتكرة من وسائل أعمال اللاعنف لتعزيز عملية إصلاح ملكية الأراضي[4]، وقد ولَّدت الحركة ضغطًا على الحكومة من خلال المظاهرات الاحتجاجية، واحتلال المكاتب الحكومية، والمسيرات الطويلة التي استقطبت تغطية إعلامية، مثل مسيرة سيزر شافيز من ديلانو إلى ساكرامنتو، كاليفورنيا في العام 1966، فما يَقرُب من (12,000) شخص ممَّنْ لا يملكون أرضًا، ومن الناشطين، ومن المؤيدين ساروا مدة (17) يومًا من جويانا إلى برازيليا في أيار/ مايو من العام 2005؛ لزيادة وعي الناس بمحنة مَنْ لا يملكون أرضًا، وزيادة الضغط على الحكومة للمُضي قُدُمًا في عملية إصلاح ملكية الأراضي، إلا أن احتلال الأراضي هي الطريقة التي تميَّزت بها حركة الريفيين، والوحيدة التي أثبتت أنها الأقوى في تعزيز إصلاح ملكية الأراضي.

أدرك الناشطون التطابق البرغماتي بين أسلوب احتلال الأراضي والبيئة البرازيلية، أولًا : مقارنة بالدول النامية الأخرى؛ حيث إنَّ عدد الناس الذين لا يملكون أرضًا مرتفع نسبيًّا مقارنة بمساحات الأراضي غير المستغلة، وإنَّ هناك نسبة عالية مواتية من الأراضي الزراعية غير المُستغَلَّة مقابل الناس، وبعبارة أخرى توجد مساحات واسعة من الأراضي

غير المُستغَلَّة إنتاجيًّا من قبل المالكين. ثانيًا: يعطي الدستور البرازيلي مُسوِّغات قانونية لإعادة توزيع الأراضي غير المُستغَلَّة إنتاجيًّا[5]. ثالثًا: تفتقر الحكومة إلى الإرادة السياسية لتطبيق الإصلاح في غياب ضغط جماهيري يفضح تناقضات التوزيع غير العادل للأراضي، ولكن تمَّ توليد الضغط من خلال الحملات المنظمة لاحتلال الأراضي، والحشد الجماهيري، والسياسي (شوك 2012) (Schock 2012).

تطورت (حركة الريفيين بلا أرض) من منبعها في الجنوب البرازيلي لتصبح حركة وطنية أرسلت ناشطيها إلى مختلف أنحاء البلاد لتنظيم مَنْ لا يملكون أرضًا، والقيام بعمليات احتلال، ومن خلال تنظيم القواعد الشعبية، تمكَّن ناشطو حركة الريفيين من تحديد أماكن الأسر التي لا تملك أرضًا والمهتمة بالحصول على أرض، وكان وجود شخصية مهمة متعاطفة مع حركة الريفيين ضمن تلك الأسر، مثل قسيس أو زعيم نقابي، يُسهِّل عملية حشدهم، فإن لم يوجد مثل هذا الشخص، كان ناشطو الحركة ينتقلون من باب إلى باب يدعون الناس إلى المشاركة في الحركة، وكانت تُعقَد لقاءات في الكنائس أو المدارس يشرح فيها الناشطون أهداف الحركة، وسبب كفاحهم من أجل الأرض، وطريقة الحصول على الأراضي من خلال الاحتلال، وكان يُطلَب من كل شخص يحضر الاجتماع أن يدعو أشخاصًا آخرين لحضور الاجتماعات اللاحقة، ممَّا يزيد حجم المشاركة، وقد عُقِدت الاجتماعات بطرق مماثلة لمجموعات مختلفة، وحين يتجمع عدد معين من الناس المهتمين بالمشاركة كان يُعقَد اجتماعٌ إقليميٌّ يحدد يومًا لاحتلال الأراضي (برانفورد وروكا 2002؛ هارنيكر 2003؛ رايت وويلفورد 2003) (Branford & Rocha 2002; Harnecker 2003; Wright & Wolford 2003).

بعد احتلال الأرض تبدأ (حركة الريفيين بلا أرض) الإجراءات القانونية لتحدي أي إشعار بالإخلاء قد تصدره السلطات المحلية لمصادرتها رسميًّا من قبل الحكومة، فإذا نجحت المعركة القانونية، يتحول مخيم الاحتلال إلى مستوطنة ويبدأ المحتلون بإقامة مجتمع دائم، فإن لم تنجح يبدأ التخطيط والإعداد لاحتلال أراضٍ جديدة.

قامت (حركة الريفيين بلا أرض) منذ أواسط الثمانينيات بمئات آلاف عمليات احتلال الأراضي، وحوَّلت إصلاح ملكية الأراضي إلى قضية وطنية، فإضافة إلى ما تقدم، ومن خلال احتلال الأراضي والحصول لاحقًا على حقوق ملكيتها بهذه الطريقة، تمَّت إعادة توزيع (20) مليون فدان من الأراضي الزراعية على (350,000) أسرة (رايت وولفورد 2003) (Wright & Wolford 2003)، ولم تنجح الحركة في تعزيز توزيع الأراضي وحسب، بل نجحت أيضًا في تحويل القطاع الزراعي البرازيلي؛ إذ كانت الزراعة البرازيلية تُوجَّه - تقليديًّا- نحو المحاصيل المُعَدَّة للتصدير لجلب النقد الأجنبي، مثل السكر، والتبغ، وفول الصويا، بدلًا من إنتاج الطعام للأسواق المحلية، ولهذا الأمر عاقبتان سلبيتان، أولًا : أنها تسهم في تجويع البرازيليين؛ نظرًا لأن الأراضي الزراعية لا تُستخدَم لزراعة مواد غذائية أساسية. ثانيًا: أن الطرق الصناعية في الزراعة الأحادية تسهم في تردِّي البيئة، من خلال استخدام الأسمدة الكيماوية، والمبيدات الحشرية، ومبيدات الأعشاب، واستنزاف المياه الجوفية، وبعكس ذلك شجعت حركة الريفيين الأسر على زراعة الأرض بشكل تعاوني، واستخدام الزراعة العضوية لإنتاج سلع للأسواق المحلية، كما تعهَّدت بتخصيص (20 %) من الأراضي التي يتم الحصول عليها لإنشاء محميات بيئية، ولذلك بات يُنظَر إلى الكفاح للحصول على الأراضي على أنه جزء من كفاح أكبر للحصول على مجتمع أكثر ديموقراطية وسلامة من الناحية البيئية (رايت وويلفورد 2003) (Wright & Wolford 2003).

لقد تغلَّبت (حركة الريفيين بلا أرض) على التحديات الرئيسة التي تواجه الحركات الاجتماعية الريفية، وهي: أولًا، أنها حشدت قاعدة شعبية من الصعب تنظيمها، وصاغت شبكات عمل في مناطق مُشتَّتة جغرافيًّا، واستقطبت دعم الدوائر المدنية، فكان تنظيم الجماعات الريفية بالانتقال من باب إلى باب أمرًا حاسمًا في الحشد، فحين يتم الحصول على الأرض، تُطوِّرُ حركة الريفيين (مجتمعات متخيلة) أو (مجتمعات ريفية مستقلة) وتُعزِّزُها بتسييس عضويتها وتسهيل المزيد من الحشد (فيرجارا- كاموس 2009) (Vergara-Camus 2009)، وفي كل مستوطنة كان يتم تحرير بعض الناشطين من مسؤولياتهم الزراعية ليعملوا في مجال التنظيم والحشد (هارنيكر 2003) (Harnecker 2003).

الصندوق 1.9 احتلال الأراضي

احتلال الأراضي هو طريقة للعمل المباشر تتَّسم بأنها عالية التنظيم والانضباط، وتشتمل على الكثير من التخطيط والإعداد، فقبل القيام بالاحتلال تحدد حركة الريفيين الأرض التي تُلبِّي اثنتين من المواصفات؛ أولًا : أنها غير مُستغَلَّة إنتاجيًّا، وبالتالي فهي مُؤهَّلة لإعادة التوزيع بموجب القانون، وثانيًا: أنها من المحتمل أن تكون مُنتِجة ومُلائِمة لدعم قرية زراعية، والأرض التي يجري احتلالها تكون في العادة ملكية خاصة، لكن في بعض الحالات يطال الاحتلال أراضي حكومية غير مُستغَلَّة أيضًا.

يتم تحديد موعد لاحتلال الأرض بشكل مُسبَق، إلا أنَّ موقعها يبقى سرًّا، ولا يعرفه سوى عدد قليل من الناشطين؛ بهدف منع السلطات أو ملاك الأراضي من اتخاذ إجراء لمنع الاحتلال، ويتم نقل أسر كاملة – للمشاركة- إلى الموقع بطريقة خَفِيَّة لعدم إثارة انتباه السلطات بوساطة حافلات في منتصف الليل، من أماكن مختلفة وفي أوقات مُتباعِدَة، ثم يتلاقون في موقع الأرض المنويِّ احتلالها.

يتم جلب ضروريات المعيشة الأساسية اللازمة للإقامة على الأرض، مثل مواد بناء أماكن الإقامة، وأدوات زراعية، وأواني طبخ، وإمدادات من المواد الغذائية غير القابلة للتلف، فلا يمكن للمحتلين الاعتماد على أيِّ مساعدة خارجية؛ لأن الشرطة غالبًا ما تضع حواجز على الطرق لمنع المزيد من الناس والإمدادات من الوصول إلى الموقع (برانفورد وروكا 2002؛ هارنيكر 2003؛ رايت وويلفورد 2003) (Branford & Rocha 2002; Harnecker 2003; Wright & Wolford 2003).

في بعض الأحيان يلتقي عملاء الدولة أو مالكو الأراضي المُسلَّحين مع المحتلين محاولين إخلاءهم من الأرض، ورغم حدوث ردود أفعال عنيفة في بعض الأحيان، وبوجه خاص في السنوات الأولى من الحركة، إلا أن سياسة حركة الريفيين كانت تعتمد على التراجع وتنظيم احتلال جديد بدلًا من الرد بعنف، فالأسر – كاملةً- كانت تقوم باحتلال الأرض وليس الرجال فقط، وهذا قد يخفف من احتمالية مقابلة العمل بالعنف.

ثانيًا، من خلال شبكات (اللجنة الرعوية للأرض) ثم من خلال الشبكات التي شكَّلتها حركة الريفيين نفسها، التي تحولت من حركة إقليمية إلى حركة وطنية، فإن احتمالات بقاء الحركات المحلية والمعزولة صامدة في وجه القمع تبدو أقلَّ بكثير من الحركات التي تعمل على مستوى وطني، والفارق في القوة بين مالكي الأراضي ومَنْ لا يملكونها بدأت في التلاشي

بعد أن شكَّلت حركة الريفيين شبكات تغطي مساحات شاسعة من البلاد (فيرناندیز 2005) (Fernandes 2005).

ثالثًا، استمدت حركة الريفيين بعض النفوذ في المجال السياسي بفضل الدعم الذي حصلت عليه من حزب العمال البرازيلي، وهو حزب سياسي من يسار الوسط، ومن (اتحاد العمال المركزي) أكبر اتحاد صناعي تجاري في البرازيل، ومن ناشطين شباب من المناطق الحضرية، كما كان الحال مع عمال المزارع المتحدين في الولايات المتحدة، وقد تحول نضال حركة الريفيين من كفاح عمال لا يملكون أرضًا إلى كفاح أوسع من أجل العدالة الاجتماعية.

السياسة الاقتصادية: جمعية الفقراء

تأسست جمعية الفقراء في العام 1995 بوصفها منظمة شعبية انبثقت عن منظمات صغيرة لمزارعين وقرويين في شمال شرق تايلاند، والجمعية ليست منظمة مركزية بل شبكة أفقية من المنظمات الشعبية والمنظمات غير الحكومية الداعمة، وقد تأسست لتمكين المنظمات القروية من مختلف أنحاء البلاد من الاجتماع في منتدى لتبادل المعلومات والموارد، وزيادة قدرتها على المساومة في حملاتهم الخاصة؛ كونها جزءًا من شبكة واسعة النطاق.

تكوَّنت جمعية الفقراء من مجموعات مختلفة من الناس أثرت فيها بشكل سلبي السياسات التي تطبقها الدولة؛ بهدف تشجيع الصناعة، والزراعة المخصصة للتصدير، والتشجير التجاري، وتضمُّ في عضويتها مئات الآلاف من الذين تضرروا من بناء السدود الضخمة خلال السنوات القليلة الماضية، إضافة إلى سكان العشوائيات في المدن، وكثيرون منهم ممَّنْ طُرِدوا من أراضيهم في الريف. نتج عن بناء السدود خسارة مصائد الأسماك وغمر الأراضي التي كان الناس يعتمدون عليها في معيشتهم بالمياه، وقد فشلت الحكومة في تعويضهم بشكل ملائم على خسارتهم، ولذلك انصبَّ تركيز الجمعية على وقف إقامة السدود، والمطالبة بتعويض القرويين عن خسائرهم، ونقل القرارات المتعلقة باستخدام

الأرض إلى المستوى المحلي، ودفع السياسة الاقتصادية للبلاد في اتجاه أكثر استدامة (ميسنجهام 2003) (Missingham 2003).

في البداية، حاولت جمعية الفقراء أن تعالج مظلمة أعضائها من خلال قنوات المؤسسة السياسية مثل الضغط، لكن الحكومة أحبطت جهودهم أو تجاهلتها، وبعد استنفاذ القنوات التقليدية تحولت الجمعية إلى وسائل أعمال اللاعنف، مثل المسيرات، والتجمعات، ومظاهرات الاعتراض، والعصيان المدني، وأدركت مثل (عمال المزارع المتحدين) و(حركة الريفيين بلا أرض) أن الاحتجاجات الحاشدة هي الطريقة العملية الأفضل لكسب القدرة على المساومة الضرورية؛ لجلب صُنَّاع القرار إلى طاولة المفاوضات وجعلهم ندًّا مساويًا لها. ولتوسيع الحركة وضع ناشطو المنظمة غير الحكومية الكفاح في إطار خطاب العولمة المتعلق بحماية البيئة والتنمية المستدامة، ثم أقامت روابط مع المنظمات غير الحكومية العاملة في تايلاند إضافة إلى المنظمات العابرة للحدود، مثل شبكة الأنهار الدولية (بيكر 2000؛ ميسنجهام 2003) (Baker 2000; Missingham 2003).

ومن طرق الاعتراض القوية التي طوَّرتها جمعية الفقراء (التخييم)، وبهذا الأسلوب تقام (قرية ريفية) كيفما اتفق وسط شوارع بانكوك في قلب مركز السلطة قرب دار الحكومة، التي تضم مكاتب رئيس الوزراء والمسؤولين الآخرين، وخلال مدة التخييم، وهو المكان الذي يقيم فيه الناشطون طيلة مدة حملة الاحتجاجات، تقام تجمعات سياسية، وتُعقَد اجتماعات على أساس يومي، وفي بعض الأحيان مسيرات في الشوارع، ويجري تنظيم أحداث درامية كانت تحظى بتغطية مهمة من وسائل الإعلام (ميسنجهام 2003) (Missingham 2003).

حدثت أول عملية تخييم كبرى في آذار/ مارس ونيسان/ أبريل من العام 1996، حين شارك ما يصل إلى (12,000) ناشط في الحملة التي استمرَّت شهرًا كاملًا، ونتيجة للتخييم حصلت جمعية الفقراء على اتفاق مبدئي من الحكومة بتعويض أعضائها عن مصادرة أراضيهم وفقدان مصدر عيشهم، وبقيت الجمعية متنبهة لمتابعة اللجان والوكالات الحكومية

خلال مراحل التنفيذ، مطالبين باحترام الاتفاقات، إلا أن الحكومة تراجعت ورفضت الالتزام بوعودها.

ردًّا على ذلك، نظمت جمعية الفقراء مخيمًا ثانيًا أكبر (ميسنجهام 2003)، استمرَّ من 24 كانون الثاني/ يناير حتى 2 أيار/ مايو من العام 1997، مقابل دار الحكومة في بانكوك، فتجمَّع ما يقرُب من (25,000) شخص من (35) مقاطعة مطالبين الحكومة بأن تلتزم بوعودها وتحلَّ مشكلتهم، فكان التخييم الثاني هو أطول عملية احتجاج تجري في بانكوك وأكثرها تنظيمًا؛ بانخراط الجمعية في احتجاج منضبط وغير عنيف، فقد حشدت ضغطًا على الحكومة من دون أن تثير قلق الجمهور أكثر ممَّا يجب أو أن تُسوِّغ ردَّ فعل عنيف من السلطات بسبب حجم التخييم الثاني، وإن المدة التي استغرقها - إضافة إلى التغطية الإعلامية المكثفة ودعم المنظمات غير الحكومية وشريحة من الطبقة الوسطى- أجبرت الحكومة على التفاوض مع الجمعية وتنفيذ الاتفاقات التي أبرمتها معها 6.

فازت جمعية الفقراء بتنازلات غير مسبوقة من الحكومة، منها تعويضات لما يقرُب من (7,000) أسرة خسرت أرضها ومصدر رزقها نتيجة بناء سد، وإلغاء مشروع إقامة سد وإعادة النظر في خمسة سدود آخرين، وثلاث قرارات أنهت عمليات إخلاء عاجل لقرويين من أراضٍ داخل الغابات، والقبول من حيث المبدأ بالسماح للجماعات التي أقامت فترات طويلة على أراضي الغابات بالبقاء فيها، إضافة إلى ذلك طرح مشروع قانون في البرلمان يعترف بحقوق المجتمع المحلي في إدارة الغابات (ميسنجهام 2003) (Missingham 2003).

قدمت حكومة رئيس الوزراء تشافاليت يونجتشايوده جميع الضمانات لمعالجة جميع المظالم الواردة في التماس جمعية الفقراء، إلا أنه حين تولت حكومة شوان ليكباي الوزارة بدلًا من تشافاليت في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1997، ضاعت المكاسب برفض الحكومة الجديدة احترام الاتفاقات السابقة، وخلال مدة حكم شوان الأكثر استبدادًا، وبدلًا من أن تقوم جمعية الفقراء بشَنِّ أحداث سياسية كبرى في بانكوك، تبنَّت إستراتيجية القيام باحتجاجات مُنسَّقة لكنها مُشتَّتة جغرافيًّا في مواقع إستراتيجية في أنحاء تايلاند كافة،

وقد جنَّب تنفيذ هذا الاحتجاج - الأكثر انتشارًا- الحركة إمكانية تعرُّضها لقمع مُركَّز، وعلى أي حال فحين أصبح تاكسين شيناواترا رئيسًا للوزراء في شباط/ فبراير من العام 2001، ضغطت الجمعية مُجدَّدًا على الحكومة الوطنية لإصلاح الوضع من خلال حشود واسعة النطاق، إضافة إلى أن الرئيس الجديد كان أكثر تعاطفًا مع أهداف الجمعية (ميسنجهام 2003) (Missingham 2003).

تغلَّبت جمعية الفقراء على التحديات الرئيسة التي تواجهها الحركات الاجتماعية الريفية، فنجحت - أولًا - في حشد قاعدة شعبية من الصعب تنظيمها، ورغم أن الناشطين لم يقوموا بالانتقال من باب إلى باب لحشد الناس، مثل ما فعله أعضاء (عمال المزارع المتحدين) و(حركة الريفيين بلا أرض)، إلا أنهم نجحوا في جمع منظمات مختلفة كان القرويون قد شكَّلوها سابقًا، وإن جهود الجمعية في الحشد كانت جديرة بالملاحظة في مجتمع كثيرًا ما قيل إن أفراده سلبيون، ومراعون لمشاعر الآخرين، ومعتمدون إلى حدٍّ كبير على الروابط غير الرسمية، مثل علاقة الراعي والتابع للوصول إلى الأقوياء طلبًا للإنصاف أو المساعدة (جومبالا 1998، ص 266) (Jumbala 1998, p. 266). ثانيًا، شكَّلت شبكات أفقية واسعة في مناطق مُشتَّتة أفقيًّا، فتكوَّنت من رابطة القرويين المهضومة حقوقهم مع بعضهم، ومعهم سكان العشوائيَّات في المدن ممَّنْ رحلوا عن الريف. ثالثًا، استقطبت دعم حلفاء نافذين في المدن - مثل المنظمات غير الحكومية- لأبناء الطبقة الوسطى المهتمين بحماية البيئة والتنمية، إضافة إلى طلاب الجامعات والأكاديميين (بيكر 2000) (Baker 2000).

كانت جمعية الفقراء مهمة لأنها مثَّلت أول تأكيد رئيس للصوت السياسي الريفي في تايلاند منذ قمع (اتحاد الفلاحين) في الثمانينيات، وهي تختلف عن المجموعات السياسية الريفية السابقة من ناحية طراز شبكتها اللامركزية في التنظيم، وقيادتها المنتشرة، وقدرتها على معالجة قضايا محلية ووطنية، ورغم أن نجاحها كان مُتباينًا حسب البيئة السياسية، إلا أنها نجحت في وضع قضية التنمية المستدامة على الأجندة الوطنية، وعملت على تحويل علاقات القوة الاجتماعية لتمكين المجتمعات المحلية من الحصول على حريتها،

وإدارة الموارد المحلية، وإجبار الدولة على ضمان حقوق المجتمعات المحلية المتعلقة باستخدام الأرض والموارد.

الخلاصة

حققت حملات (حركة الريفيين بلا أرض)، و(عمال المزارع المتحدين)، و(جمعية الفقراء) جميعها أمورًا لم يسبق لها مثيل في البيئة الخاصة بكل واحدة منهما، وقد تمخَّضت الجهود التي بذلها سيزر شافيز وعمال المزارع المتحدون عن أول حملة تنظيم ناجحة للعمال الزراعيين الذي لا يملكون أرضًا في ولاية كاليفورنيا، حيث تسود مصالح مؤسسات الزراعة الصناعية، وقادت الحملات المتواصلة لاحتلال الأراضي لِـ (حركة الريفيين بلا أرض) إلى أول تحدٍّ جَدِّي لسلطة النخبة من مالكي الأراضي، وما تلا ذلك من إعادة توزيع الأراضي لأول مرة في تاريخ البرازيل، وعمل احتلال الساحات العامة في بانكوك من قبل جمعية الفقراء في العامين 1996 و1997 على إجبار الدولة التايلاندية – للمرة الأولى– على التفاوض مباشرة مع سكان مُهمَّشين بشأن السياسة الاقتصادية واستخدام الأراضي.

فكيف تم تحقيق تلك الأشياء التي تحدث لأول مرة في التاريخ؟ إن أحد العوامل التي أسهمت في ذلك هو إدراك الميزة النسبية للمقاومة اللاعنيفة، فقد أدرك الناشطون أن المصالح السياسية التي تعزز قطاعات الأعمال الزراعية ومشاريع التنمية الضخمة لها ميزة حاسمة في المجال السياسي المؤسسي، ولا يمكن تحدي تلك المصالح بفاعلية من خلال السياسات التقليدية وحدها، كما أدرك الناشطون أن المقاومة العنيفة لن تكون فاعلة بسبب الميزة التي يتمتع بها كبار ملاك الأراضي والدولة من ناحية امتلاكهم لأدوات العنف، وإن استخدام العنف من قبل المعترضين غالبًا ما يُسوِّغ قمع الدولة وملاك الأراضي الساحق، إضافة إلى ذلك فإن احتمالات تمكُّن الحركات المسلحة من حشد قاعدة دعم ضخمة ودعم حلفاء نافذين تبدو أقل؛ لأن الحواجز أمام المشاركة في حركات العنف أعلى، والعنف يميل

إلى تشجيع الاستقطاب الاجتماعي (شينوويث وستيفان 2011؛ مارتن 2005) (Chenoweth & Stephan 2011; Martin 2005).

إن أسس القوة في المقاومة اللاعنيفة هي الحشد المستمر لأعداد كبيرة من الناس، الأمر الذي يُولِّد ضغطًا من الخارج على النظام، ويعطي التحدي نفوذًا أكبر ضمن المؤسسية السياسية والقنوات القانونية، ومن الضروري - عادة- حشد أعداد ضخمة من الناس الملتزمين؛ للفوز بمنافع جماعية جديدة لأصحاب التمثيل المتدني في السياسة (أمينتا وآخرون 2005) (Amenta et al. 2005)، فقد حشد (عمال المزارع المتحدين)، و(حركة الريفيين بلا أرض)، و(جمعية الفقراء) حملات استندت إلى قاعدة جماهيرية عريضة على مدى مدة طويلة من الزمن، ونبَّـهت الجمهور إلى المشكلات التي يعانيها الريف، وأجبرت الحكومة على معالجة الأنظمة المتجذرة من عدم المساواة والاستغلال، فوفرت حملاتهم وسائل مكَّنت أعدادًا كبيرة من الناس من متابعة مصالحهم، ومن تعزيز تضامنهم وقدراتهم في الوقت نفسه، إضافة إلى ذلك، فقد استقطبت جميع هذه المنظمات دعم أطراف ثالثة وعامة الناس، وهو أمر ما كان ليحدث لو أنها لجأت إلى العنف.

إن اختيار وسائل معينة للاحتجاج تتشكَّل عادة ممَّا يتوافر من ذخيرة الاعتراض (مجموعة الوسائل المعروفة والمتاحة في بيئة معينة)، وبالاعتبارات الأسلوبية (التوقعات حول تأثير تنفيذ أعمال معينة ورد الخصوم أو أطراف ثالثة) (تيلي 2006؛ شوك 2012) (Tilly 2006; Schock 2012)، وفي كل واحدة من الحالات فكَّر الناشطون إستراتيجيًّا في الكيفية التي يمكن لبعض الطرق أن تشجع الحشد الجماهيري وتعزز النفوذ، فعمال المزارع المتحدون لم يخترعوا مقاطعة المستهلك (التي تعود إلى إيرلندا في ثمانينيات القرن التاسع عشر ،حين رفض سكان المدن التعامل مع الكابتن (بويكت) [الاسم الذي اشتُـقَّت منه كلمة مقاطعة] بعد أن أخلى مستأجرين من أرضه)، بل تبنَّوا المقاطعة في صراعهم من أجل حقوق عمال المزارع، و قادت المقاطعة إلى زيادة هائلة في عدد المشاركين بالصراع من المدن، وهو أمر كان ضروريًّا للنجاح، فكثيرًا ما قامت مجموعات فلاحية معزولة جُرِّدت من أراضيها باحتلال

أراضٍ في أنحاء أمريكا اللاتينية كافة بهدف استعادة حقوقها، لكنَّ (حركة الريفيين بلا أرض) حوَّلت احتلال الأراضي إلى طريقة قوية للحصول على أراضٍ من خلال الحشد الجماهيري، جاعلةً من الأمر طريقتهم المحددة في الكفاح على مستوى الأمة، أمَّا جمعية الفقراء فقد جددت الأسلوب بإقامة مخيمات قروية في معقل السلطة، مما جعل الحكومة والجمهور الواسع يتنبَّـهان لمسألة استخدام الأرض والتنمية في الريف.

في الختام، ومن خلال الاستخدام المبتكر والمنضبط لوسائل أعمال اللاعنف، تمكَّن (عمال المزارع المتحدين) و(حركة الريفيين بلا أرض) و(جمعية الفقراء) من حشد قواعد شعبية كان من الصعب تنظيمها، وشكَّلوا شبكات عمل في مناطق متناثرة جغرافيًّا، واستقطبوا دعم قواعد شعبية مدنية، وأظهروا - بفعلهم هذا- قدرة المقاومة الشعبية على محاربة العنف الهيكلي والاضطهاد السياسي.

أسئلة للمناقشة

1. ما السبب في صعوبة حشد عمال الريف الذين لا يملكون أرضًا وصغار المزارعين؟
2. كيف تكتسب الحركات الاجتماعية الريفية نفوذًا على خصوم هم أقوى منها ظاهريًّا؟
3. ما المقصود بِـ (الميزة النسبية) للمقاومة اللاعنيفة؟
4. ما السبب في أهمية دراسة قضايا العدالة الاجتماعية في دراسة اللاعنف؟

اقتراحات لمزيد من القراءة والبحث

- كور، اندرس (1999) Corr, Anders (1999) لا للتعدي واحتلال ممتلكات الغير! إضرابات الإيجار والصراع على الأرض في العالم. بوسطن: مطبعة ساوث إند.
- أصدقاء حركة الريفيين بلا أرض، www.mstbrazil.org

- جانز، مارشال (2009) Ganz, Marshall (2009) لماذا يفوز ديفيد أحيانًا: القيادة، والتنظيم، والإستراتيجية في حركة عمال مزارع كاليفورنيا. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.
- ماك مايكل، فيليب (2012) McMichael, Philip (2012) التنمية والتغيير الاجتماعي: منظور عالمي. الطبعة الخامسة، ثاوزند أوكس، كاليفورنيا: مطبوعات ساج.
- ميسنجهام، بروس دي. (2003) Missingham, Bruce D. (2003) جمعية الفقراء في تايلاند: من صراع محلي إلى حركة احتجاج وطنية. شيانج ماي (Chiang Mai)، تايلاند: كتب سيلك وورم.